الشرطة

الجريمة وتربية المدارك (١)

هل لفعل الشر من علاج

نستطيع ان نلخص نظرية (الان مكسن) عن الجريمة في الجملة الآتية :
(سبب الجريمة نقص طبيعي في مراكز الادراك، وهذا النقص وراثي لاشفاء منه).

وان من القراء من يعجب لما يجده تناقضاً بين هذه النظرية وبين حقائق الحياة كما يشهدها، وان لهذا القارئ ان يسأل « كيف نعلل الجريمة التي يقترفها رجل ذو محتد سام وشرف تليد اذا كانت الجريمة نقصاً طبيعياً غير قابل الشفاء ؟؟ » او ان يسأل « لماذا نعنى بالتربيتين الدينية والاخلاقية ان كان من كتبت عليه الجريمة لابد ان يقترفها ؟؟ » وهذه دون ريب اسئلة طبيعية، على ان الاجابة عليها ليست متعذرة .

ليس هنالك تناقض بين النظرية وبين الحقائق، ومن الضروري لكي نفهم حقيقة توافقهما ان نستعرض كيف تطبع الفكرة الاخلاقية في واعيتنا وذاكرتنا وكيف نعد عملاً معيناً جريمة ؟!

لنتذكر اولاً ان الجريمة هي عمل تخص ذاكرة الجماعة وادراكهم انه مناف لصالح العام، فتعدد الزوجات مثلاً يعد الان جريمة في اميركا، ولكن اي طالب من طلبة

---

(١) مترجمة عن الانكليزية

[illegible] لا [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
قد [illegible] على هذه [illegible] .

ومن [illegible] ان [illegible]
[illegible]
توجد في [illegible]
ان جيرانه [illegible]
عنه . وهذه هي [illegible]
[illegible]
شعور [illegible]
الجماعة [illegible]
ان وضع الفكرة [illegible]

ادراك [illegible]

اذا [illegible] من الصور [illegible] من الالم ،
ولا يمكنه [illegible] ، ولا [illegible] ذلك المرة من
قبل ، ولا [illegible] [illegible] كانت
الصورة [illegible] ذلك
المرة مرة [illegible]
مجموعة من [illegible]
علمت ان [illegible]
من القوة والوحشية التي [illegible] الحيوان [illegible] بحيوان اضعف

منه ، وواجبك مع طفلك الآن هو ان تطبع هذه الفكرات الاخلاقية في ادراكه فكيف تعمل ذلك ؟

اتحاول ان تشرح له العرض الخلقي حتى يدركه ادراك الجماعه ؟ فما بعد الاختبار علومي التي الوحشة من الأثر الذي يحدثه شد ذنب الهرة في شعور من حوله او انك لا تفعل ذلك دون شك ، وكل ما تفعله هو ان تأتي بحركة صوتية تفهمها الطفل تتطلب منها يحس بها الطفل على « شعورك » نحو فعله الذي اتاه

انك اما ان تقول « مسكينة انتِ الهرة » او تقول « يا لك من طفل سيء » ثم تشرع في ملاطفة الهرة وتبتعد عن الطفل فتكون انك قد حملته يشعر بشعورك الذي شعرت به من فعله وكل حركة من هذه الحركات تنطبع في ادراكه وواعيته فيحسها ويتذكرها اذا حدثت له نفسه ان يشد ذنب الهرة مرة ثانية

وهذه الطريقة هي حيث الواقع نفس الطريقة التي حصلت بها انت على انماء مداركك الخلقية وتوجيهها ، والتي ما تعلمته وانت في حجر والدتك لاعظم اثراً في نفسك مدى الحياة من كل ما تعلمته بعد ذلك وما كانت قوة هذه التربية كامنة في الالفاظ التي تتكلم بها الا في نبرات صوت الام نفسها

فالتربية الاخلاقية ادن تتحكم في المدارك والشعور وتكييفها

وتلقى الدروس الاخلاقية عادة بطريقة تطبع في مراكز الحس شعوراً اخلاقيا دائما والامهات والواعظون يعلمون ذلك بالغريزة

على انه يلزم لنوال الغرض المقصود من الدرس الاخلاقي ان تكون مراكز الحس والشعور في الطالب لا نقص فيها والا فلا عظة تفيد ولا تربية تجدي ، وكذلك الطفل الذي يولد ومركز الحس فيه مختل لا تثمر فيه مجهودات الوالدين .

ولن يرى مجرماً تاب عن ارتكاب الجرائم ان يقول : « اذا كان هذا الجرم

ثم يرتكب جريمة الاعتداء لنقص في حالة كونه مختل في مراكز الحس والشعور منه ، فكيف نسوق له العقاب بعد ذلك ؟

« هل الاعدام العقوبة النفسية الملائمة للقاتل ؟ »

وقد يكون جواب هذا ان المجرم لم يكن يحس الادراك ضعيف الشعور ومختلفه من غير تلك الجرائم التي يقوم بها ... فلا يشعر بجسامة ما فعل او ما القتل الذي لا يعاقب عليه القانون الموضوع الا حرياته وما يرتكبه الا عن عدم الادراك فيا ضعف الشعور ، وما قتل الجنود غيرهم في حروب الا مثلا على هذا القتل .

ولقد مل معلمو الجيش الى ذلك امثالا ومصاعب كثيرة في سبيل تعليم الجنود ان يقتلوا غيرهم في ميادين الجنود القتالية لاجل الحروب والطغيان .

ولقد كان من الجنود من يحرج الوخز كثيراً من مجرد تصوره انه سيكلف بالقتال ، كما كانت منهم من اثر الحرب (وهي جريمة كبرى في الحرب) على ارتكاب الجرم الذي ظنه اشد هولاً من الحرب وهو القتل .

ولسنا نستطيع ونحن في معرض التدليل على ان منشأ الجريمة هو نقص المدارك ان نقول ان الذين قتلوا هم وحدهم الذين تمت مداركهم وعالي شعورهم دون غيرهم ممن سيقوا الى الجيش ليقوموا بقتل اخوانهم في الانسانية .

والسؤال الذي يقول عنه المعتقدون انه من نوع خاص جداً ، ويسأل عن ذلك عمن يسرق مالاً او يزور ورقة ثم يتوب عن جريمته فلا يعود اليها ابداً ، فلماذا تاب ؟ »

أكان ذلك لانه شفي من مرضه الطبيعي الوراثي ام ماذا ؟ ...

ولنا في كل شيء ان نقول عن حوادث التوبة انها نادرة جداً ، بل الندر مما يشبه الناس جميعاً فقد يحدث ... الرجل ان نجد مجرماً قد يعود الى سجنه بعد انقضاء مدة على مغادرته ولكن من الجائز ان يكون هذا المجرم قد

انتقل الى بلاد اخرى جعلها مسرحاً لجرائمه ، واصبح فيها وهو لا صلة بينه وبين سوابقه ، ومن الجائز ايضاً ان يكون قد مات والمجرمون يموتون عادة في سن الشباب، او يكون قد جن واختبل فادخل الى مأوى خاص للمجانين — والمجرمون معرضون للجنون اكثر من غيرهم — او يكون قد وهى عزمه وفترت همته — والمجرمون في الغالب معرضون لوهن العزائم وتلاشي القوة اسرع من غيرهم — .

وهناك افتراض آخر له من الشأن ما للافتراضات المتقدمة جميعاً وهو ان يكون المجرم قد تلقى في سجنه دروساً في الاجرام زادته رسوخاً في الفن ، وعلمته كيف يتحاشى في اجرامه الاصطدام بقوة القانون ومثل هذا المجرم يستمر في اجرامه ما شاء ان يستمر دون ان يقع في ايدي العدالة او ان يعلم الناس من امره الا انه رجل قد صلحت نفسه واستقامت سريرته ، ومثل هذا المجرم في ذكائه وفطنته لا يمكن ان يقال عنه انه غير مختل الشعور ناقص المدارك .

ولقد ترى في طبقات المتعلمين والسياسيين والمشرعين والقضاة والقسيسين من هم على شاكلة هذا المجرم ، ولا يمكننا باي حال من الاحوال عند ما نقف على خيئة احد المجرمين من هؤلاء القوم ان نقول عنه انه كان في مداركه وشعوره كاحد زملائه الانقياء الذين عفوا عن الجريمة وقدروها قدرها من الخطة والنذالة ولم يلوثوا ايديهم بارتكابها ولا عقولهم بتدبيرها .

يتبع

الشرقي العربي «عباض»

***